﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٣ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ٢٤﴾ [الشعراء: 23 - 24]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

الانتقالُ من توجيه الاتِّهام إلى توجيه الاستفهام

لمّا كلَّم اللئيمُ الذَّميمُ الكليمَ العظيمَ بما رجا أن يَكُفَّه عن مواجهته بما يَكره، ويُرجعه إلى مداراته فلم يفعل، وفَهِم ما في جوابه هذا الأخير من الذَّمِّ له والتعجيز، وإثبات القدرة التّامَّة والعلم الشامل لله تعالى بما دبَّر في أمر موسى عليه السلام وأنَّه لا ينهض لذلك بجوابٍ، ولا يُحمَد له فيه قولٌ؛ عَدَل عنه إلى جوابه عن الرسالة بِما يُموِّه به أيضًا على قومه؛ لئلّا يرجعوا عنه، فأخبر تعالى عن محاورته: ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ﴾ حائدًا عن جواب موسى عليه السلام لِما فيه من تأنيبه وتعجيزه[1]، فهو انتقالٌ من جواب موسى عليه السلام على اتِّهام فرعون، إلى ذكر حوارٍ آخرَ فرَّ إليه فرعون؛ لِما فهمه من فحوى إجابات كليم الله تعالى.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مُّوقِنِينَ﴾: (يقن) أصل الكلمةِ يدُلُّ على السُّكون والظُّهور، أو الثُّبوت والاستقرار والدَّوام، ومنه: أمر يقين، أي: ثابت مستقر[2]، واليقين: الجزمُ والقَطْعُ، يُقالُ: أيقَنَ فلانٌ بالأمر، يوقن، يقينًا وإيقانًا: إذا جزم به[3]، ويأتي بمعنى التَّحقُّق والعِلْم الَّذي لا شكَّ معه، يُقالُ: يقن الأمر، يقنًا، وأيقنه وأيقن به، وتيقَّنه: إذا عَلِمه وتحقَّقه كلّه[4]، وضِدُّه: الشَّكُّ والرَّيب، ويأتي اليقين بمعنى التَّأكد، يُقال: أيقن الخبَر، أي: تأكد منه، ومن معانيه أيضًا: الاطمئنانُ،

(1) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 23.
(2) الراغب، المفردات: (يقن).
(3) الجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب: (يقن).
(4) الجرجاني، التعريفات، ص: 259، والمناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ص: 68.

والوضوحُ[1]، والموقِنُ في الآية معناه: العالمُ عِلْمًا لا يقبلُ الشَّكَّ، وهو الإيقانُ، وسُمّيَ العِلْمُ بذلك لأنَّ شأْنَ اليقينِ بأنَّ خالقَ السَّماواتِ والأرضِ وما بينهما هو الإله لا يُشاركه غيرُه[2].

❁ المَعْنى الإِجْماليُّ:

حين افتُضِحَ عجْزُ فرعون أمام قوَّة بيان موسى عليه السلام؛ رجع إلى القضية الأساس التي جاء بها موسى عليه السلام، وكان قد تهرَّب منها، فقال: وأيُّ شيءٍ ربُّ العالمين الذي أنت وأخوك جئتما لِتُبَلِّغا رسالته لي، وما صفته؟[3].

الـــربُّ الـحـقُّ خالقُ السماوات والأرض وما فيهنَّ لا المـتـغـطـرس فيهنَّ

فأجابه موسى عليه السلام بما يدلُّ على الله سبحانه وتعالى دلالة بيِّنة، وتثبت أنَّه المستحقُّ للرُّبوبية لا اللعين العاجز، فقال عليه السلام: ربُّ العالمين هو ربُّ السموات وما فيهن من الكواكب الثوابت، والسيارات النيِّرات، ومن الأرض وما فيها من بحار وقفار وجبال وأشجار، وحيوان ونبات وثمار، وما بينهما من الهواء والطَّير، وما سوى ذلك ممّا لا نشاهده، ولا ندركه، كلُّ ذلك مربوبٌ لله تعالى خاضعٌ لسلطانه، إن كانت لكم قلوب صالحةٌ لليقين، وبصائرُ نيرةٌ تهدي إلى الصراط المستقيم، أو إنْ كنتم موقنين بشيءٍ من الأشياء، فهذا أَوْلى بالإيقان لِظُهوره ووضوح دليله[4].

وترشد الآيتان إلى أنَّ تقريرَ الربوبية المقتضيةِ للألوهيَّة من طريق هذا الحوار؛ ليسمع ذلك المشركون، وليعلموا أنَّهم مسبوقون بالشرك والكفر وأنَّهم ضالون، فما يدَّعيه فرعونُ من الألوهيَّة محضُ كذب وافتراء، فليس في قدرتِهِ أن يخلق شيئًا[5].

(1) ابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (يقن).
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 118.
(3) طنطاوي، التفسير الوسيط: 10/ 240.
(4) مجمع البحوث، التفسير الوسيط: 7/ 1564.
(5) مجمع البحوث، التفسير الوسيط: 7/ 1564، والجزائري، أيسر التفاسير: 3/ 645.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّةُ فصلِ صدرِ الآية عن سابقها:

إثـــارةُ ذهـن المـتـلـقّـي من مقاصد النَّظم الكريم

فُصِلت جملة ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ عمّا قبلها للاستئناف البياني؛ إذ يترقَّب المتلقي ردَّ فرعون على إفحام موسى ﷺ له في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ﴾؟ فجاء ردُّه سؤالًا لا جوابًا لِسؤال موسى ﷺ.

سببُ العدولِ عن الجواب إلى السؤال:

فـرارُ فرعونَ من الجواب أشدُّ من فـرار مـوسى ﷺ من القتل

كان مقتضى سؤالِ موسى ﷺ الإنكاريِّ التوبيخيِّ أنْ يَدفع فرعون عن نفسه التُّهمة، وأنْ يتبرَّأ منها، لكنه عجَز، وافتُضح، ورجع صاغرًا إلى ما كان قد هرَب منه في أول الحوار، من قول الرسولين الكريمين: موسى وهارون: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الشعراء: 16]؛ فلمّا "أخبر موسى ﷺ فرعونَ بأنَّه رسولُ ربِّ العالمين؛ لم يسأل إذ ذاك، فيقول: وما ربُّ العالمين؟ بل أخذ في المداهاة وتذكار التربية، والتقبيح لِما فعله مِن قتل القبطي، فلمّا أجابَهُ عن ذلك؛ انقطعَتْ حُجَّتُهُ في التربية والقتل"[1].

سببُ العدولِ عن الإضمارِ إلى الإظهارِ:

قطْعُ الاحتمالاتِ يُـعـيـن عـلى تـأمُّـل الـحـوار دون اضـطـراب الأذهان

آثر النَّظمُ الكريم التصريحَ بذكر ﴿فِرْعَوْنُ﴾، فخلت منه الجمل السّابقة: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ [الشعراء: 16 - 18]، فلم يُذكَرْ لفظُ (فرعون)، "وإظهار اسم ﴿فِرْعَوْنُ﴾ مع أنَّ طريقةَ حِكاية المقاولات والمحاورة يُكتفى فيها بضمير القائلين بِطريقة قال قال، أو قال فقال، فَعُدِلَ عن تلك الطريقة إلى إظهار اسمه لإيضاح صاحب هذه المقالة؛ لِبُعد ما بين قوله هذا وقوله الآخر"[2]، وهو وإن كان مفهومًا من النَّظم، إلّا أنَّ التصريح به يقطع الاحتمالات.

(1) أبو حيان، البحر المحيط في التفسير: 8/ 149.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 116.

نوعُ الواو ودلالتها في ﴿وَمَا رَبُّ﴾:

المراوغونَ يأتونَ بما يدلُّ على ترابط كلامهم

الواو في جملة ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ عاطفةٌ هذا الاستفهامَ على الاستفهامِ الأوَّل الذي وقع كلام موسى فاصلًا بينه وبين ما عُطف عليه[1]، أي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الشعراء: 18]، فالعطف على جملةٍ سابقةٍ دلَّ على هروبهِ الصريح والتحول إلى باب جديد من الجدال، والواو توحي بأنَّ فرعونَ ربط بين السُّؤالين؛ ليدلَّ على أنَّه لم ينقطع عن جواب موسى عليه السلام، بل تابع ما ابتدأه من السؤال الأوَّل.

غرضُ الاستفهامِ وبلاغتُهُ في ﴿وَمَا رَبُّ﴾:

الموفَّقُ في المناظرةِ يتجاهل تجاهُلَ خصمه ويمضي في بيان المقاصد

الاستفهام في قوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ "مشوبٌ بتعجُّبٍ وإنكارٍ على طريق الكناية، ومِن دقائق هذه المجادلة أنَّ الاستفسار مقدَّمٌ في المناظرات، ولذلك ابتَدَأ فرعون بالسؤال عن حقيقة الذي أَرْسَل موسى عليه السلام"[2]، وإلى ذلك ففي هذا السؤال: "تجاهلٌ عَن عارفٍ أنَّه عبدٌ مربوب بدليل قوله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء: 102]"[3]، ومع ذلك فتجاهَلَ موسى عليه السلام تجاهلَهُ، وأفحمه بالجواب الوافي الشافي، الذي يَزيده صغارًا: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ لما في سؤاله من التَّعريض بأن يعبد موسى عليه السلام إلهًا سواه، كأنَّه قال: "ومن هذا الذي تزعم أنَّه ربُّ العالمين غيري"[4].

نكتةُ الاستفهامِ بأداة ﴿وَمَا﴾:

يتجاهلُ أهلُ الفهاهة والجِدال حقائقَ يعلمونها للحيدِ عن الحقِّ

آثر النَّظمُ استعمالَ اسم الاستفهام ﴿وَمَا﴾ دون (مَن)؛ لبيانِ خُبْث طويَّة فرعونَ، ومَكْر نَفْسِهِ الشرّيرة؛ إذ لم يَسأل: مَن ربُّ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 116.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 117.
(3) الشنقيطي، أضواء البيان: 3/ 18.
(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 138.

العالمين؟ وكأنَّه لا يَدري عن أيِّ شيء يسأل؟ و"يستوصفه إلهَهُ الذي أرسله إليه، أي: (ما إلهك هذا؟) فأجابه موسى بما يدلُّ عليه مِن خلقه ما يعجز المخلوقون على أن يأتوا بمثله: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۚ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ أنَّه خلَق ذلك"[1].

علَّةُ إيرادِ ﴿رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ في سؤال فرعون:

التَّعبيرُ بـ ﴿رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ لَم يَرِد في السياق إلّا في تكليف الله تعالى لِموسى وأخيه هارون ﷺ قبل هذا الموقفِ بثماني آياتٍ: ﴿فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦﴾ [الشعراء: 16]، ثم انتقلَ السياق إلى مَشهدِ حِوار موسى ﷺ وفرعون؛ لبيان محاولة فرعونَ إنكار كلامِ موسى ﷺ وتجاهُلِه بذكر تربيته موسى ﷺ: ﴿أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا﴾ [الشعراء: 18]؟ كأنَّه يقول: (نحن ربَّيناك، فكيف يكون لك ربٌّ آخر؟) ثم يعود فرعون إلى السؤال عن ﴿رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، الذي حاول تمويهه على المَلأ بالامتنان على موسى ﷺ، ومن توفيق الله لنبيِّه الكليم في هذه المناظرة أنِ اضطرَّه إلى الرجوع إلى ما هرب منه.

المحاجِجُ القويُّ يُلْجِئُ خَصمه إلى ما يريد من إثبات الحجج

فائدةُ فصلِ الجملة عن سابقها:

فُصِلَت جملة ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ عمّا قبلَها للاستئناف البياني؛ لِتَرَقُّبِ المتلقّي جواب موسى ﷺ، فجاء الردُّ: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾.

بلاغةُ العدولِ في الجواب عن ظاهر اللَّفظ إلى معناه:

"لمّا عَلِم موسى ﷺ خَطَأَ فرعونَ في السؤال؛ أجابه على مراده لا على لفظه، فقال: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾"[2]؛ فأتى موسى ﷺ "بالصِّفات الدالة على الله تعالى من مخلوقاتِه التي لا يشاركه فيها مخلوق، وقد سأل فرعونُ عن الجنس، ولا جنس لله تعالى؛ لأنَّ

الإساءةُ في السؤالِ لا تقتضي تصويبه في اللَّفظ بل في الجواب

(1) الواحدي، التفسير الوسيط: 3/ 352.
(2) الطوفي، الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية: 1/ 468.

الأجناس محدَثَةٌ، فَعَلم موسى ﷺ جهلَهُ فأضرب عن سؤاله، وأعلمه بِعظيم قُدرة الله تعالى التي تُبَيِّن للسامع أنَّه لا مشاركة لِفرعون فيها"[1]، أي: "كما توقنون هذه الأشياء التي تعاينونها، فأيقنوا أن إله الخلقِ هو الله تعالى الذي خلَقها، وأوجدها"[2].

فتضمَّنَ جواب موسى ﷺ تنبيهًا على أنَّ الاستدلال على ثبات الخالق الواحد يَحصل بالنظر في السماوات والأرض وما بينهما نظرًا يؤدّي إلى العِلم بحقيقة الربِّ الواحد الممتازة عن حقائقِ المخلوقات؛ ولهذا أتبعَ بيانَهُ بقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾، أي: إنْ كنتم مستعدّين للإيقان، طالبين لِمعرفة الحقائق غير مكابرين[3].

دلالةُ اختيارِ عنوان الربوبية في جواب موسى:

في إضافة ﴿رَبُّ﴾ إلى ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ إشارةٌ بعنوان الربوبيَّة إلى عطاءاته سبحانه وتعالى وبركاته على كل مَن في السماوات، وكل من في الأرض، ومنهم فرعونُ وملَؤُهُ، وأنَّه سبحانه ربُّهم الذي به تقوم حيواتهم، برغم ما هم فيه وعليه مِن ضلال واستبداد، وتعبيد لبني إسرائيل، وفي ذلك فضْحٌ لتناقُضهم، كيف يتمرَّغون في نِعم الله تعالى، وينكرون فضله.

ما أعجَب حالَ مَـن يَتقلَّب في نِعم الله تعالى ويجحد إنعامَه!

فذَكَر موسى ﷺ ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ سبحانه بعنوان الربوبيَّة دون الألوهيَّة؛ لأنَّ المقامَ مقامُ امتنانٍ بخلْقٍ وإنشاء، وتدبير ورعاية ورزق، وما إليها ممّا ينال فرعون نفسَهُ وملأه.

نكتةُ عطفِ ﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾ على ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾:

عُطِفت ﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾ على ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾؛ لبيانِ أنَّ ما يرونه في الأرضِ هو تابعٌ لما في السماوات، وأنَّ السماوات التي لا يعلمون عن حقائقها شيئًا أعظمُ ممّا يشاهدون.

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 13/ 98.
(2) الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل: 3/ 324.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 117.

عِلَّةُ تقديم ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ على ﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾:

شَرفُ السماواتِ وعلوها وفخامتها يقتضي تقديمها على الأرض

في تقديم ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ على ﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾ إشارةٌ إلى فضلِها عليها، وتبيان إلى ما في السماوات من عظمة الخلق والأمر، وإلماحٌ إلى ضآلة المخاطَب بالنسبة إلى عظمة ملكوت الله تعالى، ملكوته تعالى في الملَأ الأعلى أعظم وأجل.

هذا، وقد دَرَجَ الذِّكر الحكيمُ والسنة الشريفة على تقديم ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ على ﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾ إلّا في مواضعَ محدودة، قُدِّمت فيها الأرض لإشارات مهمَّة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٥﴾ [آل عمران: 5]، وذلك لتوهُّم الناس أنَّ عِلْمَ الله تعالى بما في السماء أقرب إليه، وأيسر عليه مِن علمه ﷻ ما في الأرض، فبدأ بالأرض معالجةً لذلك الوَهْم.

معنى تعريف ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾:

تعريف ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾؛ لإفادة شمول الجنس، وأنَّ ربوبيَّة الله تعالى مطلقةٌ، لا يندُّ عنها مخلوق، فلا أحدَ إلّا ينضوي تحت مظلَّة الربوبيَّة العظيمة.

نوعُ واوِ البينيَّة ودلالتها:

ما بين الجهتَين تابعٌ للسَّماوات والأرض في الخلق والتَّصرُّفِ

(الواو) في قوله تعالى: ﴿وَمَا بَيۡنَهُمَآ﴾ عاطفةٌ، والمعنى: ما بين ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ داخلٌ في مربوبيَّة الربِّ العظيم سبحانه "من الكواكب الثوابت، والسيارات النيرات، ومن الأرض وما فيها من بحار وقفار وجبال وأشجار، وحيوان ونبات وثمار، وما بينهما من الهواء والطير، وما سوى ذلك ممّا لا نشاهده، ولا ندركه، كلٌّ ذلك مربوبٌ لله تعالى خاضعٌ لسلطانِهِ"[1]، فتكون الواو قد أفادت إحاطةَ الله تعالى لمخلوقاته.

(1) مجمع البحوث، التفسير الوسيط: 7/ 1564.

نكتةُ استعمالِ ﴿وَمَا﴾ الموصولة دون (مَن):

المجهولُ من الخلقِ أكثرُ وأوسعُ من المعلومِ

(ما) في قيد ﴿وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ موصولة، ودلالتها أوسعُ من (مَن)؛ إذ تختصُّ (مَن) بالعقلاء، أمّا (ما)؛ فتعمُّهم وغيرهم، فتفيد عمومَ ربوبيَّة الربِّ العظيم سبحانه وتعالى جميعَ المخلوقات، التي منها المخاطَب - فرعون وملَؤُهُ - وممّا يعلمه، وممّا لا يعلمُهُ.

فائدةُ تقييدِ لفظ (الرّبّ) بالظرف:

ربوبيَّتُهُ تعالى محيطةٌ بكلِّ شيء إحاطةَ الظَّرفِ بالمظروف

التقييدُ بالظَّرف في متعلَّق جملة الصِّلة ﴿بَيْنَهُمَآ﴾ يُلمِح إلى بَسْط الله تعالى سلطانه على كلِّ مخلوقٍ، وأنَّ ربوبيَّتَه محيطةٌ بكل شيء إحاطةَ الظَّرفِ بالمظروف، ولا ريب أنَّ نبيَّ الله تعالى موسى عليه السلام يَعلم، ويوقن بأنَّ سلطان الله تعالى وربوبيَّته محيطانِ بما وراء السَّماوات والأرض، ولكنَّ هؤلاءِ لا يعلمون أنَّ ثَمَّ شيئًا وراء السَّماوات والأرض؛ فاكتفى بهما وما بينهما ممّا يعلمون، وما لا يعلمون، ولا شكَّ أنَّ المجهول للخَلْق منه أكثر من المعلوم.

نكتةُ تثنيةِ الضَّميرِ العائد:

السماوات جمعٌ، "فإن قلتَ: كيف قيل: ﴿وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ على التثنية، والمرجوعُ إليه مجموعٌ؟ قلتُ: أُريد: (وما بين الجنسين)، فُعل بالمضمر ما فعل بالظاهر"[1].

دلالةُ استعمالِ ﴿إِن﴾ في الآية دون (إذا):

مَن لَفَّهُ الضَّلالُ يُستبعَد منه اليقين الحق

استعمال أداة ﴿إِن﴾ في قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ يُلمح إلى استبعاد ذلك منهم، وأنَّ الضلالَ خيَّمَ على نفوسِهم، ولَفَّهم لَفًّا يَصعب معه حصولُ اليقين لهم، أمّا (إذا)؛ فلا تناسب حالهم؛ لِما توحي به مِن القَطْعِ لهم باليقين، أو الطَّمعِ فيه وغلبة الظن بوقوعه منهم، وحصوله لهم.

(1) الزمخشري، الكشاف: 3/ 307.

دلالةُ ذِكرِ ﴿كُنتُم﴾:

السَّماواتُ والأرض وما بينهما دليلٌ على الخالق المالك المتصرِّف

في التَّعبيرِ بصيغة الماضي في ﴿كُنتُم﴾ في جملة الشَّرط ﴿كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ مع أنَّ طلَبَ الإيقانِ يكون للمستقبل، هو التَّنبيهُ إلى أنَّ ذلك اليقين كان حقُّه أن يُقطَع به، وأن يكون قد تحقَّق منذ زمن؛ لِما تَحمله دلائل القدرة الإلهية في الكون مِن حولهم مِن الدَّلالة على وجود ﴿رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ورعايتِه لهم، وفيضه عليهم من أنواع النَّعيم الذي يتقلبون فيه من الخيرات والطَّيِّبات، فـ "إنْ كنتم تعرفون الأشياء بالدَّليل؛ فكفَى السَّماواتُ والأرض وما بينهما دليلًا بأنَّ الله سبحانه خالقُها، ومالكُها ومدبِّرها، وقيل: إن كنتم موقنين بأنَّ السَّماوات لا بدَّ لها من ربٍّ، فالذي أدعوكم إليه ذلك هو الرَّبُّ، وقيل: إن أيقنتم أن ما تعاينونه، هو كما تعاينونه، فأيقنوا أنَّ ربَّنا ربُّ السماوات"[1].

وجهُ الخطابِ في ضمير الجمع:

مؤاخذةُ القائل لا تقعُ إلا بعد اتِّضاح مرادِهِ من مقالته

ضميرُ الجمع في ﴿كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾، يُرادُ به "جميعُ حاضري مجلس فرعون، وأراد موسى ﷺ تشريكهم في الدعوة؛ تقصّيًا لِكمال الدعوة، وأنَّ مؤاخذةَ القائل لا تقع إلّا بعد اتِّضاح مراده من مقاله؛ إذ لا يُؤاخذ بالمجملات"[2].

دلالةُ استعمالِ مفردةِ اليقين دونَ الإيمانِ:

النَّظرُ الصَّحيح يؤدّي إلى اليقين بالله تعالى ربًّا وإلهًا

اليقينُ مرحلةٌ في ثبات العقيدةِ أقوى من مرحلة حصولِ الإيمان، فالإيمانُ اعتقادُ الشَّيء، واليقينُ رسوخُ الإيمانِ وثبوته وعدم قابليَّتِهِ للتزلزُل، "فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾، وأين عن فرعون وملَئِهِ الإيقانُ؟ قلت: معناه إن كان يُرجى منكم الإيقانُ الَّذي يؤدي إليه النظر الصحيح نفَعَكم هذا الجواب، وإلّا لم ينفع، أو إن كنتم موقنين بشيء قطُّ؛ فهذا أولى ما توقنون به؛ لِظهوره وإنارة

(1) الكرماني، لباب التفاسير: 1/ 1822.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 118.

دليله"[1]، أو "إن كنتم موقنين الأشياءَ محقِّقين لها؛ عَلِمتم أنَّ هذهِ الأجرامَ المحسوسة ممكنةٌ لتركُّبها وتعدُّدها وتغيُّر أحوالها، فلها مبدأٌ واجبٌ لذاته"[2].

نكتةُ التَّعبيرِ باسم الفاعلِ دون فعل اليقين:

اليـقـينُ أنـسـبُ للرُّسوخ والدَّوام

في إيثار اسم الفاعل ﴿مُّوقِنِينَ﴾ دون الفعل (توقنون) إشارةٌ إلى ما ينبغي أن يكون عليه العقلاءُ مِن رسوخ اليقين، أمّا الفعل؛ فيشير إلى مرحلة التكوين والتجدُّد والتذبذُب، وتغيُّر أحواله في نفس العبدِ بين الشدَّة والضعف، والاكتمال والنقصان، وما إلى ذلك من مظاهر تغيُّر أحواله في النَّفس، والذي يدعو إليه موسى عليه السلام فرعونَ وملأَهُ هو اليقين الراسخ، الذي لا يعتريه تغيير، مع ما فيه مناسبة لفعل ﴿كُنتُم﴾.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

العلم واليقين:

العـلـم اعـتـقـادُ الشَّيء، واليقين اعـتـقـاده مع دليلٍ راسخٍ

الفرقُ بين العلم واليقين "أنَّ العلم اعتقادُ الشَّيء على ما هو به على سبيل الثِّقة، واليقين: سكونُ النَّفس وثَلْج الصدر بما عَلِمَ؛ ولهذا لا يجوز أن يوصفَ اللّهُ تعالى باليقين، ويقال: ثلجُ اليقين وبَرْدُ اليقين، ولا يقال: ثلجُ العلم وبردُ العلم، وقيل: الموقنُ العالم بالشَّيء بعد حَيْرة الشَّكِّ، والشاهد أنَّهم يجعلونه ضدَّ الشكِّ، فيقولون: شكٌّ ويقينٌ، وقلَّما يُقال: شكٌّ وعلمٌ، فاليقينُ ما يُزيل الشكَّ دون غيرِه مِن أضداد العلوم"[3].

(1) الزمخشري، الكشاف: 3/ 308.
(2) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 4/ 136.
(3) العسكري، معجم الفروق اللغوية، ص: 374.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والثلاثون،
سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والثلاثون، سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 38 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-80-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 38 : المجلد الثامن والثلاثون، سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-80-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5248773 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»